الشعرية العربية : عمود الشعر

الشِّعريّة من منظورعربي

الشّعْرية ليْستْ نظريةً واحِدَةً، بلْ مُتعدِّدَة بتعدُّد المَذاهِب والمَدارِس، ويُمكن التطرق للشعرية العربية القديمة. وفي هذا المَجال نَجد أَدونيس في كتابِه الشِّعرية العربية يتكلَّم عن تطوّر الشعرية وانطلاقها بدْءًا بالشفوية فلقد نَشَأَ الشِّعْرُ العربي شفويّاً ومسمُوعاً، ووصلَ إلينا محفوظاً في الذَّاكِرَة عبر الرِّوَاية الشَّفَوية. وكانت الشفويةُ تَسْتَدْعِي من الشّاعر إتْحَافَ السَّامِع، وتقتضِي من هذا الأخير فهمَ ما يسمَعُه من أشْعَارٍ. ولهذا كانت الشَّفوية فنًّا خاصًّا في القوْل الشعري، لا تقومُ على المُفْصَح أو المُعبّر عنه، بل على طريقةِ إفصاحه والتعبير عنْه. وكان لابد للشاعر من امتلاك موهبة الإنشاد لتشْنِيفِ مسامعَ المتلقي والتأثير في نفسه. وما الإنشاد إلاّ شكلٌ من أشكال الغِنَاء. وثمة عبارة توجز ذلك، وتقول: "مِقْوَدُ الشّعر الغناء". وقال حسّان بن ثابت

تغَنَّ فِي كلّ شِعْرٍ أَنْتَ قائله ∴ إنَّ الغِنَاءَ لهذَا الشِّعْرِ مِضْمَارُ

وإلى جانب تمتُّع الشَّاعر بموهبة القول، يجب عليه أن يجيدَ الإنشادَ. وقد سُمِي الأعشى بـ"صنَّاجَة العرب" لارتباط شعره بالإنْشَاد والغناء. بدأ الإيقاع، في الجَاهليّة، سجْعاً، ثم تلَاه الرَّجْزُ. ويشيرُ جِذْرَ كلمة السَّجْع إلى التَّغْريد والغِنَاء. ويرى ابنُ خلدون أَنَّ العربَ أَنْشَدُوا الشِّعْرَ وغنوه بالملكة والفِطْرة، [1] قال ابن خَلْدون:« **وكان الغناءُ في الصّدر الأول من أجْزَاءِ هذا الفن، لما هو تابعٌ للشّعر إذِ الغناءُ إنما هو تلْحِينُه، وكان الكُتَّاب والفضلاءُ من الخواصّ في الدولة العباسية يأخذون أنفسَهم به حِرْصًا على تحصيل أساليب الشّعر وفنونه، فلمْ يكن انتحالُه قادِحًا في العدالة والمروءة، وقد ألَّف القاضي أبو الفرج الأصفهاني كتابَه في الأغاني جمعَ فيه أخبارَ العرب وأشعارَهم وأنسابَهم وأيّامَهم ودولتَهم، وجعل مبناه على الغناءِ في المائة صوتٍ التي اختارها المغنون للرشيد، فاستوعب فيه ذلك أتَمَّ استيعاب وأوفاه، ولعمري إنه ديوان العرب وجامعُ أشتات المحاسن التي سَلَفَتْ لهم في كل فنٍّ من فنون الشّعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال، ولا يُعْدَلُ به كتاب في ذلك نعلَمه وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنَّى له بها؟**»[2]

شعرية الكتابة

1- أدونيس: الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989 ص ص 5-10.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص 265

تحولت الشِّعرية من الشفوية إلى الكتابة بعد الإسلام وظهورالمؤلفات النَّقْدية، وقد ظهرت شعريةٌ جديدةٌ رفع لواءَها عدةُ شعراء من أمثال أبي نواس، وبلغت ذروة التجديد مع أبي تمام، وبالمقابل نهض الصَّوْلي ببيان عمود الشعر العربي الذي يكرس القواعِد الأصيلة الثابتة

شعرية الكتابة

تحولت الشِّعرية من الشفوية إلى الكتابة بعد الإسلام وظهورالمؤلفات النَّقْدية، وقد ظهرت شعريةٌ جديدةٌ رفع لواءَها عدةُ شعراء من أمثال أبي نواس، وبلغت ذروة التجديد مع أبي تمام، وبالمقابل نهض الصَّوْلي ببيان عمود الشعر العربي الذي يكرس القواعِد الأصيلة الثابتة

عمود الشعر

يدخلُ ضِمْن النّظرية الأدبية العربية مايُسَمَّى بعمود الشّعر العربي، والمقصود بعمود الشعر كمصطلح سُنَّة العرب وتقاليدُهم الفنِّية الموروثة في بناء القصيدة، وقد وردت هذه اللفظة عند الآمِدِي وهو يوازن بين البحْتري وأبي تمام، ثم وضَّح المرزوقي أركان العمود الشعري في مقدمة كتاب الحماسة لأبي تمام، قال المرزوقي: «**إنَّهُمْ كانوا يحاولون شرَفَ المعنى وصحتَه، وجزالةَ اللفظ واستقامتَه، والإصابةَ في الوصف-ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثُرتْ سَوَائرُ الأمثال، وشواردُ الأبيات-والمقاربة في التَّشبيه، والتحام أجزاء النَّظْم والتئامها على تخيّرٍ من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعارِ منه للمستعار، ومشاكلةُ اللفظ للمعنى، وشدَّةُ اقتضائهما للقافية، حتى لا مُنَافرة بينهما، فهذه سبعةُ أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منهامعيار**» [3]

وعليه فإن عناصر عمود الشعر سبعة هي:

1-المعنى: يتحدث المرزوقي عن عيار المعنى بالقول"**فعيارُ المعنى أنْ يُعرض على العقل الصحيح والفهم الثَّاقب، فإذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأْنِسًا بقرائنه، خرج وافيا، وإلا انتقص بمقدار شؤبه ووحشته**" وقيل جُبتا القول وإذا اعتبرناها جنبتا فالمقصود جانبي القبول والاصطفاء

2-اللفظ: وعيار اللفظ الطّبع والرّواية والاستعمال

3-الوصف

4-التشبيه

5-التحام أجزاءِ النَّظم على تخير الوزن

3- محمد الطاهر بن عاشور: شرح المقدمة الأدبية للمرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، ص35.

6-الاستعارة

7-مُشَاكلةُ اللفظ للمعنى، والمقصود بذلك مُمَاثلة اللفظ للمعني الكلّي في التَّركيب " **لا المعنى الموضوع له اللفظ، لأن المعنى الموضوع له، لا يُتَصور فيه اشتراط مشاكلة بيْنه وبين اللّفظ الدّال عليه، فالمراد أن الغرضَ الشريفَ تُنَاسبه الألفاظ الموضوعة لمعانٍ حميدةٍ، فمقامُ المدح مثلا يستدعي معانيَّ حميدةً وهكذا، والمقصود بشدّة اقتضائهما للقافية أن تكونَ القافيةُ موعودةً منتظرةً لا تَكَلُّفَ فيها**[4]

تلك هي عناصر عمود الشعر التي حافظ عليها النقاد والشعراء، وقد قال عنها المرزوقي بعدَ أن أوْرَدها " **فهذه الخصال عمود الشِّعر عند العرب، فمن لَزِمَها بحقها، وبَنَى شعرَه عليها، فهو عندهم المُفْلِقُ المُعَظَّمُ، والمُحسِن المُقدم، ومن لم يجمعها كلّها، فبقدرِ سُهمته منها يكون نصيبُه من التقدم والإحسان، وهذا إجماع مأخوذَ به ومتبع نهجه حتى الآن**"[5] لكن خرج عليها الشعراء المحدثون والذين يمكن أن نذكرَ منهم بشار بن برد وأبانواس، وينضج تيار المجددين المحدثين مع أبي تمام الذي عرف بالبديع وبالتَّصَنُّع وباهتمامه بالمعنى، سُئل البحتري عنه وعن أبي تمام فقال " أنا أَقْوَم بعمود الشّعر، وأبو تمام كان أغوصَ عن المعاني" فبيَّنَ أنَّهُ امتاز عن أبي تمام بإجادة النَّاحية اللَّفظية وأن أباتمام امْتاز بالناحية المعنوية[6]

وممن اشتُهِر بالشعرية حديثًا نذكر [7].

4- محمد الطاهر بن عاشور: شرح المقدمة الأدبية للمرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، ص 128

5- محمد الطاهر بن عاشور: شرح المقدمة الأدبية للمرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام ، ص37

6- محمد الطاهر بن عاشور: نفسه، ص131

7- سهام طالب: مفاهيم نظريّة ونماذج تطبيقيّة.